

وليسوا مبادرين، وتتأخر مبادرات التسوية الفلسطينية سنوات كثيرة عن المبادرات العربية.

وعلى هذا، يمكن القول ان رصد ظهور الاستعداد الفلسطيني للقبول بالتسوية وتطور هذا الاستعداد يعادل رصد الظواهر التي تراكمت فحملت ممثلي الشعب الفلسطيني على القبول بالتنازل عن جزء من حقوق هذا الشعب في مقابل استعادة الجزء الآخر منها. ومن السهل ان يحزر المرء، حتى ولو كان بعيداً عن دقائق الوضع الفلسطيني، ان العملية التي تمت بعسر شديد فلم تبلغ تمامها الا عبر صراع جرى داخل كل فلسطيني وداخل كل فصيل وطني وبين الفصائل. وقد كان لهذا الصراع ضحاياه الكثيرون مثلما كانت له معسكراته المتعددة. كما ان هذا الصراع مرّ في مراحل لجأ فيها المتصارعون الى العنف، مثلما مرّ بمراحل غلب عليها طابع الحوار البناء. ذلك كله جرى الى ان تكوّنت، في نهاية المطاف، أغلبية مستقرة لا تجد غضاضة في التوجّه الى التسوية ما دام واقع الحال يظهر تعذّر حسم الصراع مع العدو الذي يغتصب فلسطين باخراجه كلية منها.

هذه الدراسة تتوخى رصد وقائع العملية الشاقة التي نتحدث عنها، ومتابعة تطوراتها في الممارسة الفلسطينية، في الفترة بين العامين ١٩٦٤ و١٩٧٤. ولعلّ من الضروري التنويه بأن اختيار حدّي هذه الفترة لم يتمّ اعتباطاً أو من باب تسهيل البحث. فالعام ١٩٦٤ هو الذي شهد ميلاد منظمة التحرير الفلسطينية، بما عناه هذا الحدث من تجدد الانطلاقة الفلسطينية الرامية الى تحرير الوطن المغتصب، والتي بدونها ما كان من الممكن ان توجد سياسات فلسطينية، متشددة أو متعقّلة، والعام ١٩٧٤ هو الذي شهد ميلاد البرنامج الوطني الفلسطيني المرحلي، أو برنامج النقاط العشر، بما اشتمل عليه هذا البرنامج من استعداد فلسطيني للانخراط في مجهودات التسوية، وتحديد لمسار التطورات التي تعاقبت، في هذا الاتجاه، منذ ذلك الوقت حتى اليوم.

ظروف النشأة

تأسست م.ت.ف. في فترة كان فيها الصراع العربي - الاسرائيلي متجهاً الى احدى ذرواته الكبرى. ففي هذه الفترة، اقدمت اسرائيل على تنفيذ مشروعها لتحويل مجرى نهر الاردن، وتداعى العرب لمقاومة التحويل، والتهب اجواء الشرق الاوسط بنذر الحرب، ثم وقعت حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧. وكانت كل المحاولات العلنية والسرية التي استهدفت تسوية النزاع العربي - الاسرائيلي قد فشلت. وكانت احتكاكات الدول والمحاور العربية، وما كان ينجم عنها، في العادة، من مزايدات في الشأن الفلسطيني، تحول دون التفكير بأي مشروع جديد للتسوية. وصارت اللغة المتشددة تجاه اسرائيل هي اللغة الوحيدة التي تستخدمها الاطراف العربية كافة، تستوي في ذلك لغة الدول المحيطة باسرائيل ولغة الأخرى البعيدة عنها، كما تستوي فيه لغة الانظمة والقوى الموصوفة بالثورية ولغة الانظمة والقوى المدرجة على خانة المحافظين.

أمّا الجانب الفلسطيني، الذي انشئت م.ت.ف. في العام ١٩٦٤ لتنظيم صفوفه وتعبير عمّا يسمح المحيط العربي بالتعبير عنه من ارادته، فقد تأثرت غالبية الساحقة بهذا الجو، فانضاف ذلك الى موروثها التقليدي المتمثل بالتشبث بحق الشعب الفلسطيني في استعادة أرض فلسطين كاملة، ورفض هذا الشعب القاطع لأية تسوية تشتمل على أي تنازل عن أي حق، واصرارته على عدم الاقرار بأي من نتائج الامر الواقع المتحقق على أرض فلسطين.

وقد تمثّلت أدبيات م.ت.ف. عند نشأتها، هذا الجوّ العربي المحيط، وعكست، في الوقت